«عمّا إبكي بدي رفيقه»: بنيوية خاصّة بالنساء

نجلاء حماده

أوّل من تنبّه إلى وجود اللاوعي كان الفيلسوف نيتشه، القائل بأن الإنسان مسيّر بإرادة السلطه. ومن الواضح أن فرويد تأثّر به كما تأثّر بالفكرين الداروينى والرأسماليّ اللذين سادا الزمان والمكان اللذين عايشهما. ويظهر هذا التأثير في نظريات فرويد التصارعيّة والمبهورة بالسلطة في تكوّن وديناميّة كل من الذات والمجتمعات الإنسانيين. ففرويد، بعكس الماركسيين(*)، يصرّ على وجود غريزة تنحو نحو العداء-الموت-السيطرة (mastery) في مقابل غريزة الحب-اللذه-البقاء، وأحياناً يرى أن الغريزة الأولى هي الأخطر والأقدم والأبقى(١). وقد عبّر عن نموذجيّة قتل الأب للاستيلاء على السلطة التي يتفرّد بها في أسطورة «موسى وعبادة اللّه الواحد» وعن عدائيّة مماثلة في وصفه لعقدة الأوديب، التي يعتبرها حجر الزاوية في بناء الذات ومكمن التكوّن العاطفي للفرد.

ولو لاحظنا أن التحليل النفسي، المتبني

(*) لأن فرويديك انغلز يؤمن بالمساواة ولا يؤمن بوجود عدائيّة أصيلة يرى أن اختلاف الأدوار في العائله قام في الأساس على تقسيم المهمّات الإنتاجيّة، بينما يرى الداروينى هربرت سبنسر أن عامل القوّة وغريزة العداء بين الأشخاص ورغبة الواحد بالتسلّط على الآخر هي أساس هذا الاختلاف وهذا التقسيم للأعباء(٢)، وفرويد ينسج على منوال سبنسر.

(١) See Jean Laplanch, **Life and Death in Psychoanalysis**. Tr. Jeffrey Mehlman, Baltimore and London: The john Hopkins University Press, 1976. p.5.

(٢) Karen Sacks, **Sisters and Wives: The Past and Future of Sexuality**. Urbana, Chicago & London: University of Illinois Press, 1982. p. 97.

للبنيويّة الأنثروبولوجية، هو علم «لين» (أي غير دقيق) بحسب كارل بوبر وهو مجال لا يطاله البرهان وفق ما يثبته بول ريكور[٣] لتحتّم علينا أن نأخذ بعين الاعتبار منطلقات وخلفيات واضعي هذا المنحى كي لا ننجرف وراء أهواء عصفت برؤى عباقرة كبار فأثّرت أيضاً في مفاهيم ومنطلقات أجيال من تابعيهم ومطبّقي نظرياتهم، سواء أكانوا من ذوي الاختصاص أم من الناس العاديين الخائفين على أنفسهم وعلى من هم في عهدتهم من العصاب وممّا هو أخطر منه.

فإن كانت الغاية من وضع هذا المجلّد من «باحثات» هي تقصّي الحقيقة المعاشة، بعيداً عمّا يقال[**] ويتداول، فالأحرى أن يُعنى هذا التقصي بالبحث عن الواقع الجامع قبل الواقع الفردي وبالعمل على إزالة الغشاوات التي تموّه فهمنا للناس كجماعات قبل تلك التي تحجب الحقائق الفرديّه أو تلوّنها بغير ألوانها.

وقبل تناول الموضوع المحدّد الذي أقصد، أحبّ أن أبدأ بذكر بعض الأمثلة من نوع بعينه من هذا التمويه، قديمه وحديثه، وصولاً إلى ما يوازيه عند فرويد الذي تبعه كثير من البنيويين، ومن بينهم بعض النسويين. وتوخياً للاختصار والوضوح سأوجز كلاً من هذه الأمثلة على حدة:

١. عند قدماء اليونان، من يُعتبَرون واضعي حجر الأساس لما يسود حتى الآن من حضارة تأثّرت بها الحضارة العربيّة إلى حدّ بعيد، أدّت ملاحظة تميّز النساء بالعاطفيّة إلى هجوم قيمي على العاطفة وتمجيد للعقل الذي اعتُبر أن من تنقصه العاطفة يتميّز به. وممّا أدّى إليه هذا المنطلق المستهجن -لوجود عواطف خيّرة وجميلة

---

(٣) See Paul Ricoeur, **Freud & Philosophy: An Essay on Interpretation**, Tr. Denis Savage, New Haven & London: Yale University Press, 1970. Book III.

(**) نحا فرويد في أعماله الأولى نحو استنباط تعاليل كيمائية أو فيزيائية للسلوك ودوافعه. لكنّ خبرته السريريّة وأعماله النظريّة اللاحقة جعلاه يعيد النظر في مكونات الرغبة. وفي سياق عمل جاك لاكان على إتمام ما لم يتسنَّ لفرويد إنجازه في حياته[٤]، اعتبر لاكان أن الرغبة تتكوّن على شاكلة اللغة. لكن هذه النزعة نحو مركزيّة اللغة في تكوين الرغبة الحاملة للدوافع والطاقات قد تكون رداً متطرّفاً على المنطلق الفرويدي الأوّل وترويجاً لقدرة التحليل النفسي الذي أطلقت عليه إحدى شهيرات المرضى الفرويديين اسم «العلاج الكلامي». إنها نزعة تشكّل فرضيّة قوامها أن ما لا يقال لا يُعرف، وهي فرضيّة قد تكون صائبة إلى حدّ بعيد، ولكن ليس بالشكل الكلّي القاطع الذي عبّر عنه لاكان. وفي سياق هذا العمل، لا بدّ أن يلاحظ أن ما يقال هو ما يتقبّله المجتمع وما يتفق مع التربية المجتمعيّة، وكلاهما حريّان بأن يحجبا أو يموّها الواقع الذي نتوخّاه في هذا العدد من «باحثات».

(٤) **Le Seminaire de Jacques Lacan**, (Livres 1-20) Texte etabli par Jacques-Alain Miller, Paris: Edition du Seuil, 1975. p. 97

مثل الرحمة والإيثار والصفح والتوبة والحنان على الآخرين إلخ، ولمعرفة كلّ إنسان برجال محدودي العقل وبنساء راجحيه ممّا يدحض التعميم المدّعي العكس كحقيقة بنيويّة شاملة – وضع نظريات في علم الأخلاق تجعل الخلق الكريم ما بعُد عن العاطفه وما اقتصر الخيار الأخلاقي فيه على حكم العقل(٥). وقد انتقد هذا المنحى الفيلسوف نيتشه الذي فضّل الحساسية الخلقيّة على أي ادّعاء لوجود علم للأخلاق، خاصة بعد ما كشفه من أن الأنساق الخلقيّة ما هي إلاّ أساليب ناجعة للاستيلاء على السلطة(٦). ومؤخراً انتقدت هذا المنحى العقلاني الصرف في القياس الأخلاقي فلاسفه نسويات أمثال كارول غيليغان وأنيت باير اللتين طالبتا بدمج الطبائع النسائيّة مع الطبائع الذكوريّة لاستخلاص معايير أخلاقيّة يمكن قياس الجنسين بها دون تحيّز لطبائع تميّز، أو يدّعى أنها تميّز، جنساً وضدّ طبائع قد تميّز الجنس الآخر(٧).

٢. وحتى في الزمن المتأخّر، لا نزال نجد عند إجراء دراسات تقارن بين الجنسين، أن بعض الدارسين يميلون إلى التقليل من شأن أي صفة أو مقدرة تتفوّق فيها النساء على الرجال. ففي عام ١٩٦٨ مثلاً أطلق الباحثان جون غاري وألن شنيفلد على خصائص وجدا أن النساء حققن فيها نتائج أفضل من الرجال اسم «معطيات للعمل المساعد» (Clerical abilities)(٨) وفي عام ١٩٧١ اعتبر جون غراي أن صفات أخرى تفوّقت النساء بها تشكّل مؤشّراً على «تفوّقهنّ على الرجال» بالتخوّف (fearfulness)(٩).

٣. هذا النوع من الانحياز في استباط معاني أي اختلاف بين الذكور والإناث لا يزال قائماً حتى بين عالمات الأنثروبولوجيا النسويّات. فمثلاً استنتجت نانسي شدورو أن كون الفتاة تنشأ بقرب النموذج الذي ينبغي لها محاكاته (الأم) وكون الفتى يبقى نسبياً بعيداً عن النموذج الذي عليه محاكاته (الأب)، بسبب وجود الأب خارج المنزل سحابة نهاره من أجل العمل، يؤدي إلى قدرة أكبر عند الصبي على الاستقلال الذاتي

---

(٥) See for example, Immanuel Kant, **The Grounding of the Metaphysics of Morals.**

(٦) See Friedrich Nietzsche, **Genealogy of Morals**

(٧) See Carrol Giligan, **In a Different Voice** & Annette Baier, **What Do Women Want in a Moral Theory.**

(٨) See John Garai & Allan Scheinfeld, "Sex Differences in Mental and Behavioral Traits", **Genetic Psychology Monographs** 77, 1968. pp. 169-299.

(٩) See John Gray, "Sex Differences in Emotional Behaviour in Mammals Including Man: Endocrine Bases", **Acta Psychologica** 33, 1971. pp. 29-46.

وعلى التجاوز (transcendence) المطلوب في استخدام الرمز[١٠]. هذا، رغم ما تثبته الاختبارات الكثيرة من تفوّق الإناث في المقدرات اللغويّة، التي جلّها رمزي!

بعد هذه الأمثلة، سألج موضوع ورقتي هذه وهو ما سمّاه فرويد ومن تبعه «عقدة الأوديب السلبية». وأردت بالأمثلة، وهي قليل من كثير، اللفت إلى المنطلق «الذكوري» لرؤى هي في صميم البنيويّة الأنثروبولوجيّة. فلعلّ هذا اللفت يهيّئ القارئ إلى تقبّل فرادة بنيويّة في تكوّن الشخصيّة النسائية، دون اعتبار هذه الفرادة نقصاً أو انحرافاً أو تفصيلاً غير ذي بال. فلا داعي منطقياً يجعل الرجل مقياساً في فهمنا للمرأة. ولا يوجد مبرّر لإهمال خصائص تتفرّد بها المرأة كـ«عقدة الأوديب السلبية» لمجرّد أنها ليست موجودة عند الجنس المهيمن على السلطة بأنواعها بما في ذلك المعرفة وأساليبها.

عقدة الأوديب السلبيّة

نلاحظ من التسمية تحيّزاً «سلبياً» مبدئياً لما ترمز إليه هذه المرحلة. وقد لا يعود الأمر مستغرباً عندما نعلم أن هذا النوع من الأوديب هو مرحلة تمر بها الإناث دون الذكور، وأنها أيضاً مرحلة قد لا تصبّ في اعتبار الرغبة الإيروتيكيّة مصدراً أساسياً للحبّ. فهي «سلبيّة» لأنها تناقض المسار المطلوب لتكوين الشخصية المرغوبة. ولو علمنا أن التحليل النفسي الذي يعتقد أن بناء الشخصيّة يتمّ في السنوات الخمس الأولى يقول إن الطفل يمر بمرحلة الأوديب من منتصف عامه الرابع وحتى نهاية عامه الخامس، وإن فرويد يلاحظ أن الأوديب السلبي الذي تتفرّد به الفتيات يستمرّ أحياناً خلال معظم سنتهنّ الرابعة وفي حالة واحدة حتى سنّ الخامسة[١١] لاستغربنا اعتبار هذه المرحلة، بالنسبة إلى الفتيات، رديفة أو نقيضة لمرحلة أقصر منها مدّة ولاحقة لها في الزمن. خاصة عندما نأخذ بعين الاعتبار أهميّة الفترات الأولى من عمر الطفل أو الطفله في تكوين بنيان شخصيته أو شخصيتها.

وفرويد يؤكّد أن البراهين على أهميّة عقدة الأوديب بوصفها الظاهرة المركزيّة

---

(١٠) See Nancy Chodorow, " Family Structure and Feminine Personality", **Women Culture and Society**. Eds. Michelle Zimbalist Rosalso & Louise Lamphere, California: Stanford University Press, 1974. pp. 43-66.

(١١) Sigmund Freud, "Female Sexuality"(1931), **On Sexuality: Three Essays on the Theory of Sexuality and Other Works**, Tr. under the general editorship of James Stratchey. New York: The Pelican Freud Library, vol. 7, Pinguin Books, 19977, p372.

للمرحلة الجنسيّة في الطفولة المبكرة تتكاثر مع الزمن(١٢). ويؤكّد من بعده جاك لاكان أن عقدة الأوديب تشكّل منطلقاً ضرورياً لوجود تجربة التحليل النفسي، وأنها تهيمن على عمل فرويد منذ بداياته وتحافظ على مركزيتها حتى نهاياته(١٣). وعندما لفت فرويد المستمعون إلى محاضرته عن «حلّ عقدة أوديب» (١٩٢٤) إلى أن ما يقوله في وصف تلك العقدة ينطبق على الذكور فقط، أجابهم بأن البنات أيضاً تتكوّن لديهنّ عقدة أوديب، مع غموض غير مفهوم(١٤).

وعقدة الأوديب السلبية هي ببساطة الاسم الذي أطلقه فرويد على كون الفتيات يمررن في طفولتهنّ الأولى بمرحلة تكون فيها الأم -كائن من جنسهنّ- محور ما يشعرن به من حبّ، قبل تحوّل هذا الحب إلى الأب -شخص من الجنس الآخر- في مرحلة عقدة الأوديب، وهو تحوّل ضروري بنيوياً كي تتشكّل لدى الفتاة الشخصية الأنثوية المطلوبة. وهذه العقدة السلبيّة لا يمرّ بها الفتيان لأن حبهم يتمحور قبل الأوديب ثم خلاله حول الأم -مخلوق من الجنس الآخر- وهو المطلوب بنيوياً من أجل تكوّن شخصيتهم الذكوريّة. ومع أنه من المتوقّع أن يشكّل هذا الفارق الهام بين شكل عواطف الجنسين في المراحل الأولى التي تتكوّن فيها شخصياتهم تفاوتاً كبيراً بين عواطف الإناث وعواطف الذكور يبقى وصف التحليل النفسي البنيوي لتشكّل شخصيات الإناث كما الذكور متمحوراً حول مرحلة عقدة الأوديب، ويبقى الاختلاف بين الجنسين راجع إلى تفاوت وضعيّة الفتيات عن وضعيّة الفتيان خلال هذه العقدة وإلى الاختلاف في كيفيّة انحلالها (عند الصبي) أو البقاء في بوتقتها (عند البنت).

فمن تفاصيل هذا الاختلاف مثلاً «إخفاق» الفتاة في حلّ عقدة الأوديب. فالصبي يحلّها عندما يدرك أن المحبوبة مخصيّة «فتنزل من عينه» بينما تبقى الفتاة حاملة للعقدة - لأنه ليس في الذكورة ما ينزّلها من عينها - بل على العكس تتملّك الفتاة الغيرة من الذكورة والشعور بالنقص لأنها لا تملك عضواً ذكرياً. ومن تفاصيل هذا الاختلاف أيضاً نقص العدائيّة عند الفتيات عمّا هي عند الفتيان، بدليل أن الأخير يشعر بالعداء تجاه من يقاسمه محبوبته في مرحلة العقدة، ويتوجّه نحو من كان محبوباً بعدائيّة تقضي على تعلّقه أو تضعف من هذا التعلّق عند حلّها. أمّا عدائيّة الفتاة فهي أقل

---

(١٢) "The Dissolution of the Oedipus Complex" (1924). Ibid, p. 315

(١٣) **The Seminars of Jacques Lacan**. Edited by Jacques Alain miller, Book I, "Freud's Papers on Technique" 1953-1954. Translated with notes by John Forrester, New York & London: W.W. Norton & Company, 1975. p. 198.

(١٤) Ibid. p. 320

فعالية وهي محبطة منذ بداياتها. فشعورها، مثلاً، بالعدائيّة تجاه والدتها لأنها لم تعطها عضواً كالذي أعطته لشقيقها من شأنه أن يؤدي إلى التفاف العدائيّة على الذات لتتحوّل إلى عصاب أو مشاكل نفسيّة أخرى بدل من أن يؤدي إلى عدائيّة فاعلة في العالم الخارجي.

وإن ذكر فرويد تأثير عقدة الأوديب السلبي على النساء فهو يذكره كحالة مرضيّة أو «شاذة»، إذ يقول بأن اعتماد الفتاة على الأم يؤدي بها إلى البارانويا المرتبطة بالهيستيريا[١٥]. ويقول أيضاً إنه رغم كون كلّ من النساء والرجال مكونين من خليط من الجنسين إلاّ أن هذا الازدواج الجنسي أو التوجّه المثلي يظهر بوضوح أكبر بكثير في النساء منه في الرجال، بسبب شكل مرحلة ما قبل الأوديب التي يمرّون بها[١٦]. ورغم أن فرويد لا يربط بين ما يقوله في نرجسيّة حب النساء وبين عقدة الأوديب السلبيّة، لأنه لاحظ هذه النرجسية قبل تنبّهه للأوديب السلبي بما يقارب العشر سنوات، فمن السهل الربط بينهما. وقد يكون ما لاحظه فرويد من اختلاف في النسق بين حب الذكور للإناث وحب الإناث للذكور بحيث يحب الرجل المرأة كمخلوق آخر ويبقى حبّ المرأه للرجل «حباً لحبّه لها»، أي حباً نرجسياً، هو في الحقيقة توزّعٌ لعواطف النساء بين جنسهنّ والجنس الآخر وتعلّقٌ أقلّ نسبياً بالمحبوب من الجنس الآخر، سببه قصر مرحلة الأوديب عندهنّ قياساً بمرحلة الأوديب السلبي وقصر المرحلة من الطفولة الأولى التي تتعلّق فيها الفتاة بشخص من الجنس الآخر (والدها: منذ نهاية الأوديب السلبي حتى نهاية الأوديب) قياساً إلى مرحلة تعلّق الصبي بإنسانة من الجنس الآخر (والدته: منذ الولادة وحتى نهاية الأوديب).

فلعلّ ما اعتبره فرويد نرجسيّة أو مثليّة أو اقتراباً من الهستيريا عند النساء يرجع إلى الواقع الموضوعي الذي يحكم مسار تكوّن شخصياتهنّ، فيكون ما أسماه نرجسيّة هو في الحقيقة نزوعٌ غير إيروتيكي وأقوى من الحب الإيروتيكي نحو حبّ أناس من جنسهنّ. ولعلّهنّ من خلال هذا الحب أو إزاءه يتقمّصن دور الأم التي تحبّ أولادها أكثر من محبّتها لأي كائن آخر، بما في ذلك رجلها. ومن هنا ما يقال عن نقص حبّها للرجل عن حبّه لها، وما يقال عن رغبة الرجل بالزواج من أجل الحصول على المرأه ورغبة المرأة بالرجل من أجل الحصول على الزواج (الأولاد) . وممّا يدحض القول بأن النرجسيّة هي أقوى عند النساء ممّا هي عند الرجال ما نجده في أدبيات ما بعد الحداثة

(١٥) "Female Sexuality", Op. Cit. pp. 373-374.

(١٦) Ibid. p. 374.

التي تجمع على أن ذات الرجل هي المغلقة والمحدّدة المعالم قياساً بذات المرأة المنفتحة وذات الحدود التي يمكن اختراقها بسهولة نسبيّة.

أما القول بأن النزعة الإيروتيكيّة هي أقوى أو أكثر فاعليّة عند الرجال ممّا هي عند النساء، فقد يكون سببه أن حبّ النساء هو محبّة (مثال حب الأم) قبل وأكثر ممّا هو رغبة أيروتيكيّة، بسبب تاريخيّة تكوينهنّ التي يحلّ فيها أولاً حبّ من هي ليست نموذجاً لما ستطلبه نزعتهنّ الإيروتيكيّة. ولعلّ ما وجده سلمان أختر من أن المرأة تتمنّى أن تجد في رجلها صفات أخلاقيّة واجتماعيّة بنسبة أكبر ممّا تتمنّاه فيه من صفات جسديّه أو جماليّه في حين أن الرجل يركّز على الصفات الجسديّة في المرأة التي يتمنّى[١٧] مردّه أن الحب غير الإيروتيكي يبقى هاماً في ما ترغبه المرأة حتى في اختيارها موضوع الجانب الإيروتيكي من حياتها.

وهذا الفارق في نوعيّة الحب يقودنا إلى التساؤل حول تسمية الأوديب السلبي «عقدة». فالعقدة في الأوديب سببها الرغبة الإيروتيكيّة بإنسان ممنوع –الأم أو الأب– ومحجوز ككائن إيروتيكي للكائن الآخر المركزي في الدراما العائليّة –الأب أو الأم. لكن المحبة التي ينتفي طابعها الإيروتيكي أو يكاد بسبب التماثل في الجنس فقد لا تكوّن عقدة، لأنه من طبيعة المحبّة أن لا تصرّ على الاستئثار بالمحبوب إلى الحدّ الذي يصرّ عليه الحب الإيروتيكي. وقد يكون هذا هو السبب في نقص العدائيّة عند الإناث عمّا هي عند الذكور. أي أن سبب هذا النقص هو في عدم وجود «عقدة» أمام رغبتهنّ وليس كما يقول فرويد في عدم وجود «نقص» في المحبوب يستدعي العدائيّة للقضاء على التعلّق «المرضي» به.

وتستنتج تيريزا برنن من ذكر فرويد لعقدة الأوديب السلبيّة ما تغافل هو عن استنتاجه قائلة: «من قول فرويد هذا يتولّد الانطباع بأن تعلّق الفتاة اللاحق بوالدها ما هو إلاّ صباغ أو غطاء خارجي»[١٨]. وأحياناً يعترف فرويد نفسه بتأثير مسار بناء الشخصيّة هذا عند الإناث عندما يقول: «ان الديناميكية النفسيّة المترسّخة في الطفولة تظهر في نمطيّة مسار علاقات كل امرأة بالرجال في حياتها، رغم أن هذه الديناميكيّة تكون قد قامت في البدء على أساس علاقتها بوالدتها»[١٩]. لكن هذه الملاحظة تبقى

(١٧) Akhtar, Salman, **Objects of our Desire**, New York: Harmony Books (Division of Random House Inc.), 2005. pp. 96-104.

(١٨) Teresa Brennan, **The Interpretation of the Flesh: Freud and Femininity**, London & New York: Routledge, 1992. p. 50.

(١٩) Sigmund Freud, cited in Ibid. p. 50.

عابرة عند المحلّلين النفسيين في سياق تصوير عمليّة البناء للشخصيّة الإنسانيّة ويبقى التركيز في فهم البنى العاطفية عند النساء على عقدة الأوديب وعلى الناحية الإيروتيكيّة تماماً كما هو الحال عند الرجال، ويبقى الحب بالمطلق ودائماً إيروتيكياً أو إيروتيكي الأصل!

وفي هذا السياق، يجب ذكر ما قاله فرويد في مناسبة عيد ميلاده السبعين لمن اتّهمه بالتركيز على الموضوع الإيروتيكي. فقد كان جوابه: «لأنني عشت في زمان ومكان يقمع الحب الإيروتيكي قرّرت اتّخاذه محوراً للديناميكية العاطفيّة. ولو كانت الروحانيّة هي المقموعة لكنت على الأرجح اتّخذتها هي محوراً لما أردت قوله».

إذاً قد يكون كل ما اعتبره المحللون النفسيون مركزياً ومنزلاً لم يكن كذلك بالنسبة لمعلّمهم الأول. وقد يكون هذا التحجّر في التسليم بأن ما اعتبره فرويد بنيوياً لا يزال المنطلق المقبول، حتى لكثير من ناقديه، بحيث يصرّون مثلاً على تمحور العواطف حول الإيروتيكي أكثر ممّا يصرّ فرويد نفسه على ذلك يرجع إلى أسباب مثل الخوف من تحمّل مسؤوليّة التغيير المبدع في موضوع يمسّ إمكانيّة تعريض من يربون أو يعالجون بحسب نظريات جديدة غير مجرّبة إلى الجنون[٢٠] أو العصاب أو الانحراف. وقد يكون السبب الأساسي للإبقاء على هذه الحرفيّة عند كثيرين رغم التغيّر الاجتماعي نحو المساواة الذي حققه المجتمع الإنساني مؤخراً سببه رغبة «البطاركة» بالإبقاء على استئثارهم بالسطوة وبالمكانة المركزيّة، إن في العائلة أو في التفسيرات والنظريات «العلميّة»، أو إلى عدم تمكّن «النسويات» من عالمات الأنثروبولوجيا والمحللات النفسيات من كسر تأثير المعتقدات الراسخة أو المهيمنة لطغيان تكوينهنّ الاجتماعي في مجتمع ذكوري.

ولو تجرّأنا على الادّعاء أن لما سمّاه فرويد «عقدة الأوديب السلبيّة» تأثيراً بنيوياً في تكوين شخصية الفتيات وفي قولبة عواطفهنّ، وأن هذا التأثير قد يساوي أو يفوق تأثير عقدة الأوديب التي صنعت على قياس الصبيان وأقحمت البنات فيها وادّعى أنها الأهم في بناء شخصياتهن كما في بناء شخصياتهم، لتمكنّا من تفسير مناح عاطفيّة وأنسقة شخصية تطالهنّ وتبني لاختلاف واضح بين الجنسين.

وممّا لاحظتُه، في هذا الصدد، أنه غالباً ما تختار النساء نساء أخريات كالمركز

(٢٠) See Alanen, Y. O. " The Mothers of Schizophrenic Patients", **Acta Psychiatric Scand**. V. 33, (Supplement 124), 1958. Where the conclusion threatens mothers who do not respect the role of the father with the development of a predisposition to psychosis in their children.

الرئيسي لعواطفهنّ. فيمكن ردّ هذا الاختيار إلى تأثير مرحلة «عقدة الأوديب السلبيّة» التي مررن بها في سنواتهنّ الأولى البعيدة التأثير في تكوين شخصياتهنّ. وقد يكون ما ذكره فرويد عن «مثليّة» أكثر وضوحاً عند النساء هو تسمية غير دقيقة لمنحى يرجع منشؤه إلى الفترة قبل الإيروتيكيّة وقبل عقدة الأوديب من الطفولة.

أمثلة من لعب الأطفال ومن الأدب

يقول فرويد إن أول ظهور عصابي يتسبب به التباعد العاطفي ما بين الطفل وأهله، يظهر بواسطة المخيّلة الذكيّة والخلاّقة في لعب الأطفال(٢١). وهذا يذكّرني بلعبة طالما لعبناها في مرحلة الطفولة، حيث تقف إحدى الفتيات الصغيرات وسط حلقة من رفيقاتها متظاهرة بالبكاء، فتسألها الفتيات المتحلّقات حولها: «آه يا سلمى ليش عم تبكي؟» فتجيبهنّ : «عمّا إبكي بدي رفيقه». وتأتي النهاية السعيدة عندما يجبنها: «قومي نقّي لك رفيقه»، فتنتقي واحدة وقد حلّت البسمة والانشراح على وجهها مكان العبوس والانكفاء. ولعبة «عمّا إبكي بدي رفيقه» هذه ترمز بشكل معبّر إلى حاجة الفتاة إلى التعاطف مع واحدة من جنسها. وهي كما الألعاب عادة، تؤطّر هذه الرغبة وتعبّر عنها في بوتقة الأصول والقواعد المقبولة اجتماعيّاً، مستخدمة الترميز لتحويل الرغبة اللاواعيه وما قد يترسّب في موقعها من ممنوعات إلى رغبة واعية في إطار ما يتقبّله المجتمع. ولا أعرف لعبة يلعبها الفتيان بمعان مشابهة لهذه.

ويقول فرويد أيضاً إن الأدباء يملكون شفافيّة تمكّنهم من رصد الرغبات الدفينة في نفوس الآخرين ويملكون الجرأة للتعبير عمّا يعتمل في اللاوعي الجماعي(٢٢). وقد قرأت مؤخراً رواية لأديبة أميركيّة من أصل صيني اسمها ليزا سي تروي فيها قصّة فتاتين عقدتا بينهما عقد «نظيرتين قديمتين» (old same) بحسب تقليد كان متّبعاً في العائلات الصينيّة البورجوازيّة في القرن التاسع عشر. وفي هذه الرواية تقول البطلة عندما تظن أن «نظيرتها القديمة» خانتها باتّخاذها صديقات أخريات: «كان الألم مختلفاً عن أي ألم عرفته في السابق –متغلغلاً وحاداً، أسوأ بكثير من آلام الولادة... ثم حدث أكثر الأمور غرابة. اجتاحت مخيّلتي صورة لأمي. تذكّرت كيف، عندما كنت طفلة، أردتها أن تحبني. اعتقدت في ذلك الوقت أنه باستطاعتي استمالة عواطفها لو قمت بكلّ ما تطلبه مني أثناء تربيط قدميّ. ظننت أنني استملتها، لكنها لم تكن في الواقع تشعر نحوي بأي عاطفة. كانت لا تهتمّ إلا بغاياتها الأنانيّة، تماماً مثل سنو فلاور [نظيرتها

(٢١) Freud, **On Sexuality**, op.cit. p. 222

(٢٢) Ibid. p. 224

القديمة]. كان الغضب هو ردّ فعلي الأولي تجاه كذب أمي وقلّة عطفها عليّ، ولم أسامحها أبداً، ومع مرور الزمن ابتعدت عنها تدريجياً، وشيئاً فشيئاً تحرّرت عاطفياً من تأثيرها عليّ. وهذا ما سأفعله مع سنو فلاور كي أحمي قلبي. لن أدع أحداً يلحظ أنني أموت ..لأنها لم تعد تحبني»[٢٣]. وتذكر بطلة الرواية في موقع آخر أن خيانة سنو فلاور لها كانت «أصعب عليها بكثير من اتّخاذ زوجها خليلة»[٢٤].

وسأذكر في ما يلي بعض الأمثلة التي صادفتني في سياق حياتي عن نساء احتلّت نساء موقع الآخر الهام "the significant Other" في حيواتهنّ.

أمثلة عايشتها

أم حسين وأميرة

في صيف ٢٠٠٥ عدت لزيارة أم حسين، البدويّة التي سبق أن رويت في نطاق بحث سابق قصة علاقتها بضرّتها أميرة[٢٥]، فوجدت أن زوجها أبا حسين طلّق أميرة من سنوات وتزوّج بأخرى. وفي حديثي مع أم حسين لفت انتباهي الفرق الشاسع بين الطريقة التي كانت في السابق تتكلّم بها عن أميرة وبين عزوفها العفوي وسأمها من التحدّث عن ضرّتها الجديده سلمى. فعندما كنت أزورها في التسعينات كانت تنزع دائماً إلى ذكر أميرة، حتى وهي تتحسّر على نفسها لكونها «الثوب القديم» ولكون أميرة هي «الثوب الجديد». وقد روت لي مراراً كيف اختارت أميرة بنفسها من بين شقيقاتها الأربع، وكيف «هفّ لها قلبها».

أعدت قراءة مقابلاتي السابقة مع أم حسين وأكثرت من زياراتي لها في وضعها الجديد فوجدت أنها كانت في السابق تذكر كل تفصيل عن أميرة، عن شكلها وسلوكها وعن عائلتها وحتى عن ثيابها والحلى التي تتزيّن بها. وجدت إعادات كثيرة لقصّة زفاف أميرة وكيف طبخت هي -أم حسين- للضيوف ونظفت الخيمة التي أمضى فيها العروسان أول ليلة وعصرت لهم الفاكهة بنفسها، بل كيف بدّلت ثياب حدادها على ابنها الوحيد حسين كي يحضر سكان الربع العرس بعد أن رأت أنهم يتخلفون عنه مراعاة

(٢٣) Lisa See, **Snow Flower and the Secret Fan**, New York: Random House, 2005, p. 221

(٢٤) Ibid. 229

(٢٥) Najla Hamadeh, "Wives or Daughters: Structural Differences Between Bedouin and Urban Lebanese Co-wives" In **Intimate Selving in Arab Families: Gender, Self, and identity**. Ed. Suad Joseph, New York: Syracuse University Press, 1999.

لحزنها. بالمقابل، كانت تغيّر الحديث كلّما سألتها عن سلمى وكأنها تقول لي: «إن جمال المصطبة والعريشة تغطيها وروعة العصريّة البقاعيّه وأنس الجلسة لا يليق إضاعتها في الكلام على أمر تافه مثل سلمى.» أجابت عن إلحاحي في السؤال: «نعم طبخت لعرس أبي حسين وسلمى، وبكى الناس عليّ وأنا أطبخ.» «قلت لأبي حسين لا يمكنني الانسجام مع سلمى هذه.» «أميرة هي أمر آخر: أحببتها كثيراً، لكن أبا حسين طلّقها لأنه لم يتّفق معها، وأنا أربي ابنتها وأريد تعليمها حتى تصبح محامية.»

صديقة صباي لمياء

في عمر التسع سنوات تصادقت مع فتاة في المدرسة اسمها لمياء كانت تكبرني بأربع أو خمس سنوات. وقد شغفت بلمياء وتماهيت بها لدرجة جعلتني أتحوّل من تلميذة من الأوائل في الصف إلى أخرى لا تعير الدرس اهتماماً وتهرب من كثير من الحصص تشبّهاً بلمياء التي كانت تلميذة خائبة. كنت أرقبها وهي ترتّب ثيابها في خزانتها في القسم الداخلي فأشعر وكأن ما أراه هو أروع الأعمال الفنيّة. ورغم تجذّر الصدق كقيمة رئيسة في تربيتي، لم أتورّع عن الكذب مدّعية أن والدي متزوّج من أخرى غير أمي وأنها تسومني العذاب حتى أصوّر حياتي معقّدة ورومنسيّة مثل حياتها. ولمّا أخبرتني أنها تنوي تغيير المدرسة سارعت أقنع والديّ بأنني يجب أن أغيّر مدرستي وألتحق بالمدرسة التي قالت لي أنها ستلتحق بها[٢٦].

وبعد فترة الدراسة بسنوات، علمت بأن لمياء تعيش مع زوجها وطفليها في قرية قريبة من حيث أقضي فصل الصيف مع زوجي وأطفالي. فسارعت أبحث عن رقم هاتفها وأزورها بلهفة كبيرة أثارت استغرابها. وبعد طلاقها اتّصلت بي مراراً عندما كانت أوضاعها تسوء، وكنت دائماً أبذل أقصى ما أستطيعه من أجلها. ولم أغفل عن رصد أسلوبها الشيق في رواية الوقائع، مع كثير من المبالغة التي بدت لي إبداعاً فنيّاً قلّ نظيره. ولم أغفل عن السحر الخاص في حركاتها وسكناتها، حتى بعد أن أنهكها المرض النفسي والجسدي . أما ما لفت انتباهي الآن إذ أتذكّر تعلّقي الشغوف بلمياء فهو أنني حاولت كثيراً أن أقنع والدتي التي لا تعلم تحديداً تاريخ يوم ميلادها بأن ذلك التاريخ هو ١٧ أيلول، تاريخ ميلاد لمياء.

---

(٢٦) كان هذا سبب انتقالي من كليّة البنات الأهلية إلى المدرسة الأميركية للبنات. والجدير بالذكر أن لمياء لم تذهب إلى تلك المدرسة التي أردت اللحاق بها إليها، بل تزوّجت في ذلك الصيف وهي لا تزال في عمر الخامسة عشرة أو السادسة عشرة.

مريم وصبيحة

مريم وصبيحة، رحمهما اللّه، كانتا في سني شبابي عجوزين في العائلة جمعهما زواج ابنة مريم من ابن صبيحة. كانتا دائماً تتخاصمان ودائماً تنتقد واحدتهما الأخرى، في حضورها أو غيابها. ولكنهما لم تكونا تطيقان أن تبتعد واحدتهما عن الأخرى. وكثيراً ما ضحكنا عندما كانت الواحدة منهما تذهب إلى الثانية كي «تلقّنها درساً» أو لتقول لها ما نسيت أن تقوله في معركتهما الكلاميّة السابقة. فكان جميع أفراد العائلة يعلمون أن ما تلك إلاّ حجج تستخدمانها كي لا تبتعد واحدتهما عن الأخرى أكثر من يوم أو بعض يوم. وعندما كسرت مريم وركها، لازمتها صبيحة يومياً، رغم أن معاركهما الكلاميّة لم تَخْبُ. ولمّا توفّيت مريم ذبلت صبيحة ولحقت بها بعد فترة قصيرة.

ناديا: امرأة «تغازل» النساء

عرفتها لحقبة امتدّت سنوات لارتيادنا النادي نفسه. فتلك السيدة، ولنسميها ناديا، أثارت هي وزوجها، ولنسميه فؤاد، الكثير من العجب بين عضوات النادي وبعض أعضائه الدقيقي الملاحظة. كانت ناديا تعجب كلّ مدّة بامرأة من جميلات النادي. وكان إعجابها دائماً يسبق بأسابيع أو أيام شروع فؤاد بالتودّد إلى المرأة التي كان يوقعها في حيرة كبيرة كون امرأة وزوجها- أي ناديا وفؤاد- «يغازلانها» في الوقت نفسه. ففؤاد كان زير نساء معروفاً. وفي مجتمع عربي تكثر فيه «الفحولة» أو التمظهر بها ولا يغيب عن مجتمعات طبقاته البورجوازية رجال مثل فؤاد لا يتركون الزوجات الجميلات لأزواجهنّ، كان وجود أمثال فؤاد ظاهرة طبيعية، لكن الغريب كان الدور الذي لعبته ناديا. ولعلّ سلوك ناديا في التحبّب إلى بعض النساء وإعجابها الصريح والبريء بجمالهنّ ما كان ليستغرب كثيراً لولا ما كان يعقبه من مطاردة فؤاد للمرأة التي تتودّد زوجته إليها. فلعلّ تعلّقه بزوجته أو ضعف قدرته على المبادرة في القرار هما ما جعلاه ينتظر «رادار» زوجته ليدلّه على «الجديرة» باهتمامه. لكن هذا ليس موضع الاهتمام هنا. فموضوعنا هو شعور النساء بعضهنّ حيال بعض، واللافت إذاً هو اهتمام ناديا الزائد بهؤلاء النسوة الجميلات.

رباب: خاطفة الرجال أم محطّمة قلوب النساء؟

وممّن عرفت فيهنّ تركيزاً غير عادي على النساء في محيطهنّ زميلة الدراسة رباب، التي طالما أطلقنا عليها اسم «خاطفة الرجال»، حتى عندما كنّا في سنّ المراهقة. فرباب الجميلة السكسي كانت «تساير» كلّ خطيب أو حبيب لصديقاتها حتى يلهيه

وعدها المضمر له عن صاحبته. وقد تجاوب معها بعضهم. وكان بمجرّد أن يتخلّى المسكين عن خطيبته أو حبيبته طامعاً في رباب الأجمل والأرشق، تنساه رباب وتقلع عن إبداء أي اهتمام به! وهي لا تزال على عادتها هذه مع التخفيف والتلطيف اللذين لا بدّ أن يأتيا مع العمر. وقد نجحت منذ ذلك الزمن حتى الآن في تسميم أو تهديم علاقات عدّة بين خاطبين وأزواج.

هذا المنحى في سلوكها يظهر كبير اهتمامها بمن حولها من النساء، بدليل أن غايتها دائماً تطالهنّ وإن بشكل سلبي يجعلها تسعى إلى كسر قلوبهنّ وإظهار تفوّقها عليهنّ بالأنوثة والإغراء، بينما لا تبدو أنها تعير كل هؤلاء الرجال كبير اهتمام. فلعلّنا أخطأنا في إطلاق لقب «خاطفة الرجال» عليها، ولعلّ اللّقب الأنسب هو «محطّمة قلوب النساء»، فكأن لها عليهنّ ثأراً قديماً.

تحليل هذه الظواهر من منظور تأثير عقدة الأوديب السلبية في عواطف النساء

إلى ماذا تشير كلّ هذه الأمثلة والوقائع الحياتية، بالنسبة إلى بنية الذات والعواطف النسائيّة؟ وكيف نفسّر هذه الظواهر ضمن تراث يضع الرجال محوراً لحيوات النساء، فتغدو «الضرّة مرّة» في المطلق ويكون التنافس على الرجل سائداً في علاقات النساء فيما بينهنّ؟ وكيف نتفهّم عاطفة تنبع من غير الحبّ الجنسي بعد أن أقنعنا التحليل النفسي أو كاد أن الأوديب، أي حب الأنثى لوالدها وحبّ الذكر لوالدته، هو ليس فقط أساس تكوين الشخصيّة المحدّدة للجنس بين ذكورة وأنوثه بل أيضاً نمط الحبّ الأكبر في حياة الأفراد؟

إن الانتباه لهذا الواقع الذي تعيشه الفتيات دون الفتيان في المراحل الأولى لبناء شخصياتهنّ قد يفسّر أهميّة أميرة في حياة أم حسين العاطفيّة، رغم جميع الصيغ الاجتماعيّة التي تدعوها إلى اعتبارها عدوّة مكروهة. وقد كان الأحرى بأم حسين وهي الزوجه الأولى لو كان الزوج محور علاقتيها بضرّتيها أن تحمل شعوراً أكثر سلبيّة تجاه أميرة التي كانت أول من شاركها في حب زوجها أو حوّل عنها ذلك الحب، أو جزءاً منه، ممّا تحمله تجاه سلمى التي أخذت منها ما كانت قد فقدته من قبل. لكن بدا لي من حديث أم حسين أن كرهها لسلمى ونفورها منها يرجعان، إلى حدّ بعيد، إلى كونها أخذت مكان أميرة وكانت السبب في غيابها عن حياة العائلة وعن أم حسين. بل إن الديناميكيّة والطموح اللذين أيقظهما هذا الحب في نفس أم حسين بحبث جعلها تحلم بتعليم ابنة أميرة لتغدو محامية، رغم بُعد هذا الهدف عن البيئة والإمكانات المتوافرة فيها، ورغم أن بنات أم حسين الثلاث لم يتعلّمن أبداً، يظهران أن هذا الحب لامرأة

أخرى يولّد طاقة حيويّة شبيهة بما جعله فرويد حكراً على الليبيدو (الطاقة الإيروتيكيّة النازعة نحو اللذة).

أما حبي الكبير للمياء فتشير رغبتي في أن يكون مولد أمي في اليوم والشهر نفسيهما اللذين ولدت فيهما لمياء إلى ارتباطه بحبي الأول لأمي. وأجد الآن الكثير من أوجه الشبه بين منحى العلاقة بيني وبين أمي من ناحيه وبيني وبين لمياء من ناحية أخرى، سواء في نسق العطاء والتلقي أو في حدود الوضوح والفعاليّة اللتين لم تتمكّن كلا العلاقتين من تجاوزهما. والطّاقة الفاعلة التي ولّدها عندي حبي للمياء، التي جعلتني أكذب كذبة كبرى وحملتني على إقناع والديّ بتغيير مدرستي وأنا في الحاديه عشرة هي شبيهة بالطاقة التي ولّدها حب أم حسين لأميرة فجعلتها تقدم على ما هو شبه مستحيل في بيئتها البدويّة الفقيرة المعزولة.

وبالنسبة لمريم وصبيحة، فلا أعرف شيئاً عن والدتي العجوزين اللتين عايشتهما لسنين من طفولتي وشبابي، لكن معرفتي بالبيئة التي تربتا فيها تجعلني لا أعجب من أن يكون حب والدتهما لهما اتّخذ شكل التوبيخ واللوم أكثر من أي شكل آخر، خاصة أن التربية التقليديّة المحافظة في ذاك الزمن كثيراً ما ركّزت على أهميّة قصّ أجنحة النساء و«الركّ» عليهن حتى لا تنفرن من الدور الثانوي المتعب الذي يعدّه المجتمع لهنّ. فكان أهاليهنّ، وخاصة أمهاتهنّ، يعددنهنّ منذ الطفولة للقبول بهذا الدور عن طريق تحجيم نظرتهنّ إلى قدراتهنّ وتقليص توقّعاتهنّ بواسطة توبيخهنّ الدائم وانتقادهنّ لهنّ. كذلك فقد لاحظت في ذلك الزمن أن النساء في جنوب لبنان (مكان نشأة المرأتين وعيشهما معظم حياتهما) غالباً ما كنّ يعبّرن عن الحبّ حتى الإيروتيكيّ منه بعدائيّة شبه لعوب. فأذكر أنني كلّما سمعت قرويّة جنوبيّة تدعي على رجل: «آكله تاكل شعر لحيته»، كنت أعلم أنه وقع موقعاً حسناً من نفسها. وقد يُسحب هذا الأسلوب في التعبير على أنواع أخرى من الحب، خاصة عندما ينبعث من رغبة عميقة الجذور في اللاوعي أو في تكوين الذات. إذاً فالخصام المتواصل بين مريم وصبيحة قد يكون أسلوبهما في التعبير عن الحب، وقد يكون في الوقت نفسه استعادة لنمطيّة كانت غالبة في حبّيهما الأوّلين.

أما ناديا، فممّا عرفته عنها أنها كانت متعلّقة كثيراً بوالدتها. وكانت والدتها من جميلات مدينة طرابلس المعروفات. فلا يبعد أن يؤدي بها شوقها لوالدتها المتوفّاة حديثاً إلى الميل عاطفياً لنساء جميلات، ما تلبث أن تتنقّل بين واحدة منهنّ وأخرى لغياب الشخص المنشود وللتباين بين كلّ منهنّ وبين والدتها الغائبة. واللافت في الأمر أن ناديا لم تكن تفطن لسلوك زوجها، الذي قد لا أبالغ إن قلت أن جميع أعضاء النادي ما عدا ناديا لاحظوه وامتعضوا منه. فاهتمامها كان في موضع البحث عن أمر آخر،

يبدو أنه يعنيها عاطفياً أكثر ممّا يعنيها إخلاص زوجها لها.

وبخلاف ناديا، عُرف عن رباب أن علاقتها بوالدتها كانت مصدر معاناة وخيبة دائمين وأن والدتها عملت على إفساد علاقتها بوالدها، الذي حملت الفتاة له حبّاً عميقاً خاصة بعد فشلها في استمالة والدتها. فلعلّ الإحباط والألم اللذين سبّبتهما لها علاقتها هذه غير الشافية بوالدتها أدّت إلى اقتصاصها من نساء أخريات كانت تسعى إلى تحطيم قلوبهنّ كما كسر قلبها نفور والدتها منها وعداؤها لها. بل لعلّها كانت تثأر من إيذاء والدتها لها عن طريق تأثيرها في والدها بأن تفسد علاقات هؤلاء النسوة بمن أحببن من الرجال، وكأنها بذلك تعبّر عن رغبتها في أن تفسد علاقة والدتها بوالدها، فتثأر لنفسها وتنتقل من موقع الضحيّة إلى موقع الجلاّد، فتحقق بذلك الرغبة في أن تستعيد أمها وتستبطنها عن طريق تقمّص الدور الذي كانت تلعبه إزاءها. كذلك تحقق الانتقال من الموقع المتلقي المؤذي نفسياً إلى موقع الفاعل، حيث اللذة والابتعاد عن المعاناة، كما يقول سيّد التحليل النفسي.

وهكذا نجد أن مرحلة ماقبل الأوديب هذه أو عقدة الأوديب السلبيّة قد توفّر تفسيراً مقبولاً ومقنعاً لكثير من الظواهر السائدة في حيوات النساء. فمثلاً قد تردّ محوريّة الصداقة مع بنات جنسهنّ في حيوات النساء إلى تأثير الحبّ الأول هذا في تكوينهنّ العاطفي، ذلك الحب الذي يصعب أن يشكّل مثالاً للحب الإيروتيكي ويصعب أن يشبعه حبّ الجنس الآخر، فتبقى لدى الواحدة منهنّ حاجة ماسّة إلى إشباع عاطفي لا ترويه إلاّ صداقة نساء أخريات. وعشق كثير من المراهقات لمعلّماتهنّ في المدرسة يمكن أن يردّ إلى تقارب الأدوار بين الأم والمعلّمة يضاف إليه تيقّظ الأحاسيس الإيروتيكيّة في مرحلة المراهقة، ممّا يجعل الفتيات، حتى غير المثليات الميل، يشعرن بنوع من الانجذاب شبه الإيروتيكي نحو معلّماتهنّ. وفي رأيي وحسب ملاحظتي غير العلميّة أن كلاً من الصداقة مع بنات جنسهنّ والتعلّق بمعلماتهنّ في سن المراهقة هما خاصتان تظهران أكثر بكثير عند النساء ممّا تظهران عند الرجال. لكن لا بدّ من إجراء مسح علمي للتأكّد من هذا.

خلاصة

إذاً فالفرضيّة التي أطرحها في هذه الدراسة هي أن النساء تتميّزن برغبة عاطفيّة متأصّلة تؤدي بهنّ إلى اختيار الموضوع العاطفي المركزي (the significant Other) من بين بنات جنسهنّ، وأن هذه العاطفة هي في الغالب ليست إيروتيكيّة، ولعلّ من تأثيرها نقص في العاطفة الإيروتيكيّة المنحى عند النساء، ورغبة قويّة في الصداقة،

حتى أثناء اختيار الحبيب أو الزوج. وهي فرضية لا تزال بحاجة إلى كثير من الدراسة، خاصة أنها تناقض نظريات راسخة حول خصائص الأنوثة، وتتحلّل من المنحى المتّبع في اعتبار الذكورة هي الأصل. إنها فرضيّة تعتبر المرأة كائناً قائماً بذاته تملك صفة أو صفات ليس لها ما يقابلها عند الرجل. وهي فرضيّة تعتبر المرأة، الكائن الذي كاد جاك لاكان أن يضعه في إطار الواقع غير المتناسق الذي ينسّقه الخيال الفاعل لصاحب الرغبة (الرجل) قبل أن يستخدمه في تكوين رغبته بواسطة الرمز(٢٧)، كائناً قد يستحقّ بنيويّة جديدة خاصة به.

(٢٧) See Jacques Lacan, **Four Fundamental Principles**, Chapter I: "Excommunication" & Lacan Seminaire, Livre II, Chapter VI, section 3.